

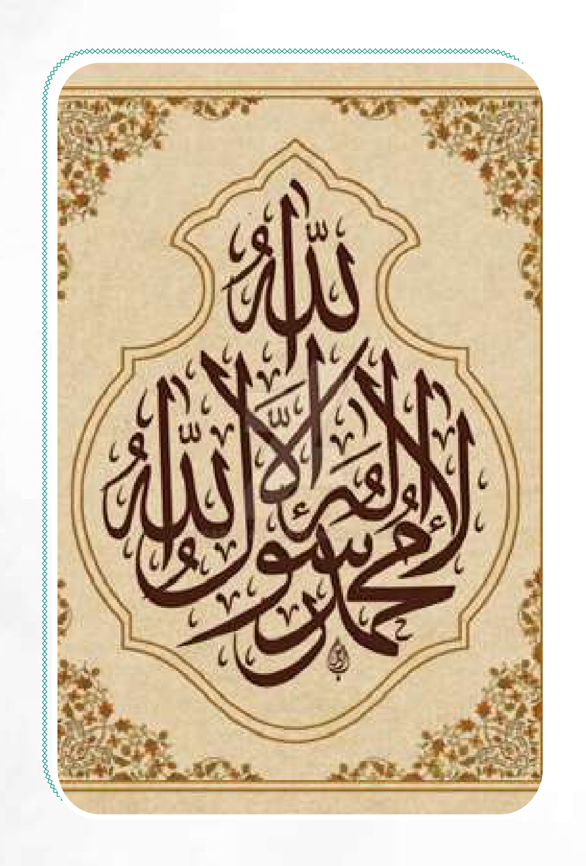
عماد إبراهيم
مدير مشروع البراق الدعوي

نصرة النبي ﷺ
شرف لا يُدانيه شرف

إن مِنْ أعظم نعم الله عز وجل علينا وعلى البشرية كلها، بعثة النبي محمَّد ﷺ، فقد ابتعثه الله ليكون رحمةً للعالمين، ومخلِّصًا من ظلام الجاهليَّة وعبادة الأوثان إلى نور اليقين بالله سبحانه وتعالى، فكان ﷺ من تمام نعَمِ الله على سائر مخلوقاته، يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ويقول تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

والإيمان بنبوة محمد ﷺ ركنٌ لا يصح الإسلام دونه، وهذا معلوم بالضرورة من دين الإسلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النور: ٦٢]. والإيمان بالنبي ﷺ داخل في الركن الرابع من أركان الإيمان الستة، كما ورد في حديث جبريل عليه السلام الذي رواه مسلم في صحيحه، حيث سأل فيه جبريل النبيَّ ﷺ عن الإسلام والإيمان، فقال له النبي ﷺ:

«الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا». أما عن الإيمان فقال ﷺ: «الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّه».



قال شيخ الإسلام: «وأما الإيمان بالرسول فهو المهم، إذ لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان به، ولا تحصل النجاة والسعادة بدونه، إذ هو الطريق إلى الله سبحانه، ولهذا كان ركنا الإسلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله».

إذا قالَ في الخَمسِ المُؤَذِّنُ أَشْهَدُ .. وضَمَّ الإلهُ اسمَ النَّبيِّ إلى اسمِهِ
فذو العَرْشِ مَحْمودٌ وهذا مُحَمَّدُ .. وشقَّ لهُ مِنِ اسمِهِ لِيُجِلَّه

وإن من أجلّ الأعمال وأوجب الواجبات على كل مسلم: القيام بما تقتضيه شهادة «أن محمدًا رسول الله»، من الإيمان به ﷺ وبرسالته، وطاعته والالتزام بأمره، وتوقيره وتعزيره، وأن يكون ﷺ أحب إلى المسلم من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين، وذلك لقوله ﷺ: «لن يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه

من نفسه، وولده، ووالده، والناس أجمعين»[١]. ومن أجلّ معاني «أشهد أن محمداً رسول الله» الإقرار بها باللسان والاعتقاد الراسخ بالقلب بوجوب طاعة النبي ﷺ واتباعه، وتعظيم قوله وأمره ونهيه ونصرته ونصرة سُنته، فلا نقَدّم عليه قولاً ولا نردّ له أمراً.

ولقد قدّم الصحابة الكرام المُثُل والقدوة، واستحقوا الثناء الجميل في كتاب الله العزيز وسيرة نبيه العدنان، لِمَا بذلوه في نصرة النبي ﷺ والدفاع عنه، بالنفس والمال والأهل والولد، حتى لا يصاب النبي ﷺ بأي مكروه أو سوء. فيا له من شرف لا يدانيه شرف!

إن التطاول على جناب النبي ﷺ في عصرنا هذا أصبح ظاهرة متكررة بين الحين والآخر، وليس ذلك غريباً، فإن الأذى والسخرية من النبي ﷺ ليست وليدة اللحظة أو اليوم وليست بدعة من بدع العصر. فهكذا كان دائماً طريق الأنبياء وأصحاب الدعوات.. محفوف بالمخاطر والابتلاءات، وقد نال الأنبياء ما نالهم، ولكن الله أيّد رسوله ﷺ، ورفع ذِكْرَه ﷺ، وكفاه المستهزئين به، وبتَرَ شَانِئَه، ونصره على أعدائه، ولَعَنَ مُؤْذِيَه في الدنيا والآخرة، وحفظ دعوته، ونصره بعد مماته بإعلاء ذكره وإظهار دينه، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥]، وقال تعالى: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة: من الآية ٤٠].



١ رواه مسلم.

لكن الشيء الغريب والمثير للإشمئزاز أن يكون من المسلمين مَن يدّعي محبته للنبي ﷺ ولا يلتفت إلى ذلك التطاول! ولا يلقي له بالاً، ولا يَغار على دينه، ولا يقوم بواجب النصرة والذَّبّ عن عرض نبيه ﷺ. فهل يبقى للحياة معنى وقيمة بعد الصمت كل الصمت عندما يُنال من مقام نبينا المصطفى ﷺ ولا يُنْتصر له ولا يُدَافع عنه ويُبذل في سبيله كل غالٍ ونفيس!

واعلم أخي الحبيب أن نصرتك للنبي ﷺ ودفاعك عنه، لهو دفاع عن عقيدة أغلى من الحياة ذاتها، وكذلك امتثال منك لأمر الله تعالى بالدفاع عن نبيه الخاتم ﷺ، ومناصرته وحمايته من كل أذى يراد به، أو نقص ينسب إليه، ولا يُسكت على ذلك التطاول الفجِّ، وإن ذهبَتْ في سبيل ذلك الأرواحُ، وليس يرتفع بهذه النُّصرة إلا نحن، ولا يشرف بها إلا نحن، ولا يعزُّ بها إلا نحن، فالنبي ﷺ غنيٌّ عن نصرة العباد له، فإن تقاعسنا عن نصرته فالله -تعالى- ناصر نبيه لا محالة. قال تعالى : ﴿إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة: من الآية ٤٠].

ولا بد أن يترك هذا الإيمان في قلوبنا أثرًا بالحب والتعظيم؛ يقول شيخ الإسلام: «الإيمان وإن كان أصله تصديقَ القلب، فذلك التصديق لابد أن يُوجب حالاً في القلب وعملاً له، وهو تعظيم الرسول وإجلاله ومحبَّته، وذلك أمر لازم... فإذا لم تحصل هذه الحالُ والعمل في القلب، لم ينفع ذلك التصديقُ ولم يُغنِ شيئًا؛ وإنما يمنع حصوله إذا عارَضه معارض من حسدِ الرسول، أو التكبُّر عليه، أو الإهمال له، وإعراض القلب عنه ونحو ذلك، ومتى حصل المعارض، كان وجود ذلك التصديق كعدمه».



والمسلم الذي يغار على دينه وعرض نبيه لن يُعدَم وسيلة يَنصر بها خير البرية ﷺ، والتي يمكنه من خلالها العمل بمقتضى محبته، وواجب القيام بنصرته ﷺ، فالعمل بشريعته وتطبيق سُنته في مناحي الحياة، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله.. لهو من أوجه النصرة؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].



إن في قلب كل مسلم حباً فطرياً لرسول الله ﷺ، يدفعه دفعاً لنصرته، إلا أن هذا الحب يترسخ وينمو إذا ما تعرّف المسلم على شمائله وأخلاقه وصفاته وسيرته العطرة ﷺ، وعلم كيف ضحّى وبذل من أجل أن يصل إلينا هذا الدين، مع الوقوف عند حوادثها موقف المستفيد من حِكَمِها وعبرها، والاجتهاد في ربطها بحياتنا وواقع الأمة. فحب النبي ﷺ ونصرته ليست مجرد هيام روحي منسحب ومعتزل عن واقع حال الأمة وواقع حال البشرية كلها.

واعلم أخي الحبيب أن المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ونصرتك لأخيك هي نصرة لنبيك ﷺ، وأن تخذل أخاك المسلم، هو خذلان لنبيك ﷺ؛ فقد روى الإمام أحمد وأبو داود عن جابر بن عبد الله وأبي طلحة بن سهل الأنصاري أنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «ما من امرئ يخذل امرءاً مسلماً في موضع تُنتهَك فيه حرمته ويُنتقَص فيه من عِرضه، إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك من حرمته، إلا نصره الله في موطن يحب نصرته».

واعلم أن دفاعك عن المسجد الأقصى، مسرى رسول الله ﷺ و السعى لتحريره والتضحية من أجله بكل غال ونفيس، ونصرة إخوانك المجاهدين المرابطين على الثغور بالمال والنفس، ودفاعك عن قضايا أمتك في شتى بقاع الأرض، لهو من أوجه وأوجب أبواب نصرة النبي ﷺ. يقول الشيخ أبو الأعلى المودودي رحمه الله، في كتابه «الجهاد في سبيل الله»:

«ابذلوا مهجكم وأرواحكم وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل إقامة كلمة الحق، وأعدّوا لمنازع الشر والطغيان كل ما استطعتم من عدة وعتاد، تدفعونها بقوتكم حيثما كانت، وتجتثون شجرة الفساد من جذورها مهما رسخت وتغلغلت عروقها في الأرض، وهكذا تواصلون جهادكم، ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٣٩]».

فابحث لك يا أخي عن ثغر تنافح به عن دينك ونبيك وشريعتك، والزمه ولا تتركه وكن من المرابطين حتى تلقى الله. وإياك ثم إياك وأن يدخل عليك الشيطان من مدخل: «وما عسى مقاطعتي، كتاباتي، دعواتي، منشوراتي، قليل مالي، ... في نصرة النبي ﷺ أن تصنع في معسكر الأعداء وأنا فرد ضعيف لا حول لي ولا قوة؟».

تذكر جيداً.. أن العبرة ليست بمدى تأثيرك بل ببذلك وسعيك، وإيجابيتك ودفعك وجهادك، وأخذك بالأسباب، فتخرج من ضيق النصرة القلبية إلي سعة النصرة السلوكية والعملية، وهذا والله لشرف عظيم لا يدانيه شرف. وإن كان قد فاتك شرف الصحبة، فلا يفوتك شرف النصرة.

والحمد لله رب العالمين.